

مات الملك.. عاش الملك

إفيس بريسلي يتربع على عرش الغناء بعد 42 عاما من رحيله



مجانين إفيس يخلدون سيرته

منتج الفيلم منصبا على اختيار من يقوم بدور راعي إفيس بريسلي بالدرجة الأولى، ليس استخفافا بدور إفيس الذي يدور الفيلم حوله، ولكن لأهمية الدور الذي لعبه الكولونيل، توم باركر، في حياة الملك الفنية. لنقل إن الأمر هو رد الجميل الذي قام به الكولونيل بحق صناعة الموسيقى، وعشاقها أيضا. الفيلم الذي لم يكشف عن عنوانه بعد اختير ليقيم فيه دور إفيس بريسلي الفنان أوستن بترل، أما دور الكولونيل فأسند إلى العملاق توم هاتكس، ومن غوره يمكن أن يؤدي دورا مثل هذا الدور الذي يحتاج إلى الكثير من المصداقية والإقناع؟

مكاسب تجارية

إلى جانب احتلاله قائمة أكثر الفنانين مبيعا، حصد إفيس ثلاث جوائز غرامي، كما حصل على الجائزة نفسها، عن إنجاز العمر، وهو في سن السادسة والثلاثين؛ كانما لجنة التحكيم تتوقع له عمرا قصيرا. لم يقطع نجاح إفيس تجاريا بعد رحيله، وقال عنه أحد صناعات الموسيقى "إن الوفاة شكّلت فرصة استثمارية ذكية". وأعطت دفعة لصناعة الموسيقى، حدث الوفاة حقق أرقام مبيعات عالية، ليس فقط لورثة الفنان، بل لعائلة آخرين أمثال بوب مارلي، وجيمي هيندركس، وبفيد بوبي، وغيرهم. واستطاع مجمع سيياحي في الدنمارك -يحمل اسم "غريسيلاند راندرز"- بيع 11 ألف شطيرة، من النوع المفضل عند إفيس، تتكون من شريحتين من الخبز المحمص، مع شرائح لحم مقدد وموز مقلي. ويمتلك دنماركي من عشاق النجم الأمريكي المجمع السياحي، الواقع في شمال الدنمارك، وقد بناه على شاطئ منزل إفيس.

وقال الدنماركي، الحاصل على لقب مواطن شرفي من ولاية ممفيس، والذي زار غريسيلاند أكثر من مئة مرة "أعترف بأن وفاته كانت حدثا جلالا". وبلغت كلفة المشروع الدنماركي السياحي، الذي يزوره سنويا 150 ألف زائر ويبيع منتجات تحمل اسم إفيس، حوالي 5 ملايين دولار، وحقق في غضون ست سنوات أرباحا للمستثمرين.

وفي لندن استطاع عاشق آخر لفن بريسلي تحقيق مكاسب من خلال الموقع الإلكتروني "إفيس يورز" الذي يبيع تذكارات لعشاق الملك في أكثر من 50 دولة. وسوّق الموقع، على مدار سنوات، أكوابا ومجوهرات ومجلات وكتب وملصقات وشعارات وقمصانا رياضية ولوحات وقطع مغناطيس ونظارات تحمل اسم الفنان.

وعبارة "إفيس يورز" هي طريقة يوقع بها عشاق إفيس بريسلي خطاباتهم في شتى أرجاء العالم. ويحتوي الموقع الإلكتروني على قوائم تضم نحو 70 ألف منتج تذكاري للفنان. وبالطريقة نفسها التي مثل فيها إفيس الحلم الأميركي وهو طفل فقير، شكلت نهايته بداية حلم آخر. والموت الذي غيبه، لم يغيب حب الناس له... واليوم بعد 42 عاما من الرحيل، تصدر اليوم "لو" باستطاعتني أن أحلم" قائمة المبيعات البريطانية، ليصبح إفيس بذلك صاحب الرقم القياسي عند الحديث عن عدد الألبومات التي احتلت المرتبة الأولى.

يكن فلا بد من صدفه تلعب دورها، حتى لا تدفن الموهبة تحت التراب. الحظ لم يلعب دورا في حياة إفيس، الذي مات قبل أن يكمل مشواره، ولكن الصدفة لعبت هذا الدور، عندما وضعت في طريقه كولونيل أميركا متقاعد عاشقا للموسيقى، هو توم باركر، الذي اكتشف موهبة إفيس، وتولى إدارة مسيرته الفنية لأكثر من عقدين، ولم تنته الشراكة إلا بوفاة إفيس.

قدم بريسلي أول أفلامه في نوفمبر 1956، وبعد عامين من ذلك التاريخ التحق بالجيش الأميركي، خلال الحرب الباردة، حين حصل على رتبة سيرجنت، وأرسل إلى ألمانيا الغربية لمدة عامين. بعد عودته، حقق نجاحا باهرا وأصبح فاحش الثراء؛ يقال إنه كان يهدي سيارات كاديلاك لأشخاص في الشارع لا تربطه بهم معرفة سابقة.

الموهبة لا تكفي لصنع النجوم، لا بد من بعض الحظ، وإن لم يكن، فلا بد من صدفه تلعب دورها، حتى لا تدفن الموهبة

انتج إفيس، في تلك الفترة، مجموعة من أنتاج أعماله، قبل أن يتركس وقته في الستينات لتصوير أفلام يكتب لها موسيقى تصويرية يعيد إنتاجها في البومات. وقد تعرضت معظم هذه الأفلام لانقادات شديدة من قبل النقاد. وفي عام 1968، بعد انقطاع دام سبع سنوات عن تقديم عروض حية، عاد إلى المسرح في عرض تلفزيوني خاص نال شهرة كبيرة، أقام إثره عدة حفلات في لاس فيغاس، إضافة إلى سلسلة من الجولات المرحية.

وظهر بريسلي في عام 1973، في أول حفل بيث عالميا عبر الأقمار الصناعية، تابعه أكثر من مليار شخص في العالم، متخطيا بذلك عدد من شاهده أول هبوط على سطح القمر، وبلغت كلفته الإنتاجية 2.5 مليون دولار، وهو رقم كبير في ذلك الوقت.

عندما اختارت هوليوود مؤخرًا إنتاج فيلم عن حياة الملك، كان اهتمام

كان إفيس في ذلك الوقت يتبع رجعت كبيرة من المسكنات، التي تعطي له بصفات طبية. ويتحدث الفيلم عن طبيب وصف له أكثر من عشرة آلاف حبة مسكنة خلال ثمانية شهور فقط. وتعزو بريسيلا إيمان زوجها على المخدرات إلى فترة خدمته في الجيش في ألمانيا، حيث كان الجنود هناك يتناولون مواد منبهة، يتقيهم مستيقظين إلى وقت متأخر من الليل.

وفي الفيلم نفسه بدلي أخوه، غير الشقيق، بشهادة يؤكد فيها أن فكرة الانتحار كانت في ذهن إفيس، الذي أكد أنه محرج لكونه لا يستطيع ترك المخدرات. ويرى أخوه أن إفيس تناول عمدا جرعة كبيرة من المسكنات أدت إلى وفاته.

ورغم النجاح الباهر الذي حققه خلال حياته القصيرة -باع أكثر من 20 مليون أسطوانة من أغنية "أتز ناو أور نيفر"- وحدها- إلا أنه كان كئيبا وتعبسا. وتبدلت في نهاية مسيرته صورة الملك؛ أصبح يعاني من زيادة الوزن، وصار مدمنا على المسكنات ويعيش في عزلة تامة ويتحسر على أمجاد الماضي، إضافة إلى قائمة من المشاكل الصحية، منها الصداع النصفي والإسك المزمن والتهاب المفاصل وتضخم في القلب، وفوق كل ذلك لم يكن قادرا على التعافي من تجربة الطلاق المريرة.

بعد خيارات فنية غير موفقة، تدهورت صحة الملك الذي أحيا آخر حفل موسيقي له في 25 يونيو 1977 في انديانابوليس، وفي 16 أغسطس 1977، عُثر عليه ميتا في حمام منزله، وأرجعت التقارير أسباب وفاته إلى نوبة قلبية، إلا أن فرضية الانتحار كانت وما زالت قائمة.

الموهبة وحدها لا تكفي

بدأت مسيرة إفيس بريسلي الموسيقية عام 1954، وكان رائدا للموسيقى الروكابيلي، وهي موسيقى سريعة مزجت موسيقى الكانتري مع موسيقى البلوز. وظهر خلال مسيرته الفنية في 31 فيلما، وسجل 784 أغنية، وأدى أكثر من 1684 حفلا غنائيا.

الموهبة وحدها لا تكفي لصناعة النجوم، لا بد من بعض الحظ، وإن لم

يرفض الكثيرون قبول حقيقة موته، ويقولون إنه ترك علامة على قبره، لإثبات أنه لا يزال على قيد الحياة؛ إنه أسطورة موسيقى "الروك أند رول" إفيس آرون بريسلي. هو مغن وكاتب أغان وممثل أميركي راحل، يعتبر أحد أهم الرموز الثقافية في القرن العشرين، وغالبا ما يشار إليه باسم "ملك الروك أند رول" أو بكلمة واحدة "الملك".

بالتأكيد مات إفيس، إلا أنه لا يزال أسطورة الموسيقى، رغم مرور 42 عاما على وفاته، ولا يزال يهيمن على الثقافة الأميركية، بفضل مبيعات ألبوماته وشعبية الكبيرة المقاومة للزمن. ومع مبيعات تخطت عتبة المليار ألبوم، يُعتبر إفيس بريسلي اليوم واحدا من أكثر الفنانين مبيعا للألبومات في تاريخ الموسيقى. وهو، حسب تصنيف مجلة فوربس، يحتل المرتبة الرابعة في ترتيب المشاهير الراحلين الذين يدرون أكبر قدر من الإيرادات.

"صوته الفريد وأسلوبه الخاص الذي يمزج بين الكانتري والبلوز، يخطيان العواطف الإثنية والاجتماعية".

الأقباط يجدون في بريسلي قوة للشباب، فقد تزوج مرة واحدة فقط وفي ساحة التحرير، وسط بغداد، انتشرت بين الشباب المظاهر تسريحة النجم إفيس. وغدت تسريحات الشعر تعبيرا آخر عن الرغبة في التحرر. وفي أفغانستان يحتفظ إفيس بشعبية رغم وفاته.

الاستماع إلى صوته للمرة الأولى أشبه بإطلاق سراح من السجن.. هكذا وصف بوب ديوان إفيس بريسلي الذي اشتهر بخفة حركته في الرقص، وأصبح رمزا محببا خاصة لدى النساء بفضل

جاذبيته، وقدم إسهامات كبيرة في عالم الموسيقى. وشكلت أغنياته مصدر وحي لأهم الفنانين في العالم، ومنهم البيتلز ورولينغ ستونز.

قدم بريسلي للعالم عددا كبيرا من الأغاني لأقرب جميعها النجاح، وتناقلتها الأجيال عبر نسخ عديدة. وزار أكثر من عشرين مليون سائح داره في "غريسيلاند" التي فتحت للعموم عام 1982.

ويتهاقن المعجبون المتحمسون على وضع الزهور وتوجيه التحية للفنان الراحل أمام ضريحه، حيث يقف إلى جانب والديه وجدته، ويقصد 600 ألف شخص هذا المكان سنويا، ما يحقق لمدينة ممفيس عوائد بقيمة 150 مليون دولار. وشجعت هذه الأرقام على افتتاح فندق ضخم بمساحة 160 ألف متر مربع. وتباع في متاجر المدينة تذكارات تحمل صور الملك، وتستقبل ملصقات عملاقة له الزوار عند مداخل المتاجر كما تعزف أغانيه في الحانات.

ولد إفيس بريسلي في الثامن من يناير 1935، لأب يعمل سائق شاحنة، وأم خياطة في منزل صغير متواضع في مدينة توبيلو بولاية ميسيسيبي. وفي سنة 1948، انتقل إلى ممفيس حيث نال شهادة الثانوية العامة، قبل تسجيل أول أسطوانة له في سن التاسعة عشرة.

نجحت موسيقى هذا الشاب المتحدر، الذي أنثرت خطواته

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

تصدرت الكاتبة الأميركية، جيل بروير جورجيو، عناوين الأخبار، عندما زعمت أن لديها تسجيلا صوتيا لإفيس، يرجع إلى عام 1981، أي بعد أربع سنوات من وفاته. يقول الصوت في التسجيل "يسألني الناس دائما أين أعيش؟ وبطبيعة الحال لا أستطيع أن أبوح بذلك، ولكن يمكنني القول إنه مكان جيد للاختفاء، هي جزيرة أعرفها منذ زمن، ولطالما اعتقدت أنني سأذهب إليها يوما".

وأضاف الصوت "على أي حال، لا بد وأنه قد مضى على وجودي هنا عام كامل. بدأت رحلتي مسافرا أجوب أنحاء العالم، وكنت مستمتعا بذلك. بذلت خلالها جهودا مضنية لإطالة لحياتي، حتى لا يتعرف علي أحد (...). ومن الساذجة الآن العودة عن أمر طلبت مني كل هذا الوقت للهروب منه".

ويقول خبير في الأصوات إنه قارن صوت إفيس بريسلي بالصوت المسجل في الشريط، وهو متأكد من أنه للشخص نفسه؛ وهو الملك.

هناك من استند، في تكذيب وفاة إفيس، إلى تناقضات حدثت أثناء تشريح جثته. وكان الدكتور جيرري فرانسيسكو قد قدم سببا للوفاة قبل اكتمال الفحص الطبي، مدعيا أن سبب الوفاة عدم انتظام ضربات القلب، وهي حالة لا يمكن تشخيصها إلا لدى الشخص على قيد الحياة. وأضاف فيرنون بريسلي، والد إفيس، مزيدا من الغموض على وفاة ابنه، مؤكدا أن نتائج تشريح الجثة ستبقى

مغلقة لمدة 50 عاما، ولن نعرف الحقيقة قبل عام 2027.

حالة فريدة

لم يبق نجاح إفيس محصورا في الولايات المتحدة وأوروبا، بل امتد ليشمل دول العالم. ويقول تيد هاريسون -وهو مؤلف لكتابين عن الملك- إن الناس، سواء كانوا في بكين أو في نيكاراغوا أو في استونيا أو في فيجي، يعرفونه بغض النظر عن لغتهم وثقافتهم،



نجم يتخط العواطف العرقية والثقافية